

العمارة الإسلامية

ISLAMIC ARCHITECTURE

1. ما هي العمارة الإسلامية؟

العمارة الإسلامية هي النتاج المعماري للحضارة الإسلامية، التي شارك فيها عدد كبير من الشعوب العربية والأعجمية نتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام من الهند والصين شرقا إلى الأندلس غربا. بدايات العمارة الإسلامية كانت مع بداية انتشار الإسلام ولا زالت مستمرة إلى الآن. ورغم تأثر العمارة بالمعطيات المحلية في كل منطقة من المناطق نجد أن هناك مظاهر مشتركة واضحة جاءت نتيجة تأثير الحضارة والفكر الإسلاميين.

العمارة الإسلامية ليست عمارة دينية وإنما عمارة مرتبطة بالحضارة الإسلامية ككل، أي أنها لا تتعلق فقط بالأبنية الدينية من مساجد وجوامع ومدارس للقرآن والفقه، وإنما تضم وفي مراحلها المختلفة جميع أنواع الأبنية التي تحتاجها الحياة في المدينة في العصور المختلفة، ابتداء من البيوت السكنية والقصور التي تسكنها الطبقة الحاكمة والأسواق والخانات وأبنية الخدمات من بيمارستانات وحمامات وسبلان مياه إضافة إلى عمارة المقابر والتراب والأضرحة، ولا ننسى التحصينات الضرورية التي تحيط بالمدن على شكل أسوار مع ما تضمه من بوابات مختلفة.

2. مدارس العمارة الإسلامية

عمد مؤرخو الفن والعمارة إلى تصنيف الفن والعمارة في الحضارة الإسلامية إلى مدارس فنية تسهّلا لدراسته وتاريخه. نسبت هذه المدارس تارة إلى العهود التاريخية، التي تسمى بأسماء الدول والأسر الحاكمة التي سادت في عهد معين ونسبت تارة أخرى إلى الأقاليم أو البلدان التي نشأت فيها. هذه الطريقة في التصنيف جعلت هناك تداخلا زمنيا أي أن بعض هذه المدارس يتزامن أو أن مدرسة ما تستمر لفترة أطول في منطقة محددة.

بعد البدايات في زمن النبي محمد (ص) والخلفاء الراشدين (632-661 م) نجد أن بداية العمارة الإسلامية المميزة تتلازم مع انتقال مركز الدولة الإسلامية إلى دمشق.

ويتم تصنيف مدارس العمارة الإسلامية كما يلي:

1. عمارة العهد الأموي (41-132 هـ/661-750 م)، وهي تتركز في بلاد الشام.
2. عمارة العهد العباسي (132-656 هـ/750-1258 م) في العراق وبلاد الشام ومصر وتونس.
3. عمارة الأغالبة (184-296 هـ/800-909 م) في تونس والعمارة الطولونية (254-292 هـ/868-905 م) في مصر.
4. العمارة الفاطمية في شمال إفريقيا (297-567 هـ/909-1171 م) وابتداء من (362 هـ/973 م) في مصر.
5. عمارة العهد السلجوقي (492-552 هـ/1038-1157 م) في العراق وبلاد الشام وإيران والأناضول حيث استمرت إلى 1081 هـ/1307 م.
6. عمارة العهد الأيوبي (1078-1258 م) في مصر وبلاد الشام.
7. عمارة العهد المملوكي (648-922 هـ/1250-1516 م) في مصر وبلاد الشام والحجاز.
8. عمارة الأندلس والمغرب، وتنقسم إلى مدارس محلية تنتمي لدول وعهود تاريخية مختلفة:
 - أ. العمارة الأندلسية المبكرة في عهد الأمويين وملوك الطوائف (138-484 هـ/756-1087 م)
 - ب. عمارة عهد المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (448-668 هـ/1056-1269 م).
 - ت. عمارة عهد المرينيين في المغرب والجزائر.
 - ث. عمارة الحفصيين في تونس.
 - ج. العمارة الأندلسية المتأخرة في غرناطة حتى 1492 م.
9. العمارة الغزنوية والغورية في المشرق (القرن 11-12 م).
10. عمارة الأبخانيين والتتار في المشرق (ابتداء من القرن 14 م) في إيران وتركستان وأفغانستان.
11. عمارة الهند الإسلامية (933-1274 هـ/1526-1857 م).
12. عمارة عهد الدولة الصفوية (907-1186 هـ/1501-1773 م) في إيران.
13. عمارة العهد العثماني، الذي بدأ في تركيا في القرن الرابع عشر واستمر حتى 1918 وانتشر في الولايات الأوروبية والعربية الخاضعة للسلطنة العثمانية.

العمارة الإسلامية المبكرة في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين

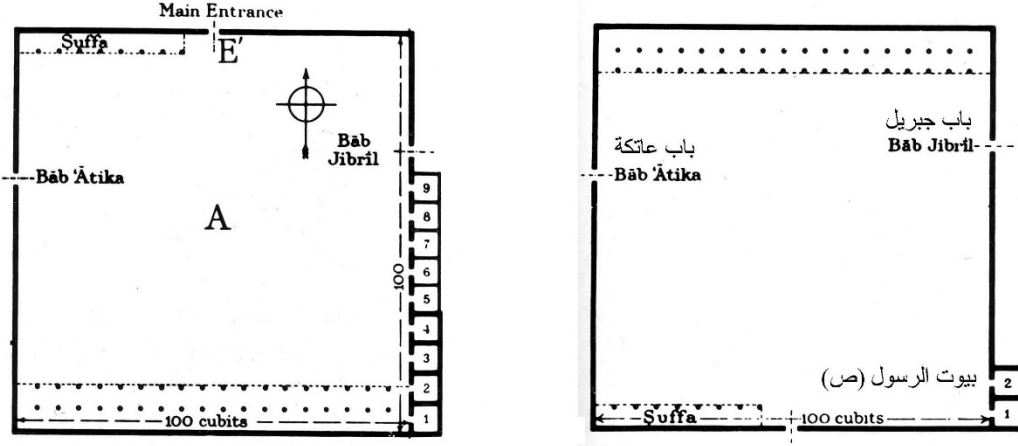
كان لا بد للدين الإسلامي الجديد أن يأتي بأنماط جديدة من المباني تتوافق مع طبيعة القيم والأفكار التي أتت بها. وبما أن الصلاة هي أحد الأركان الخمسة للدين الإسلامي فقد تطلبت صلاة الجماعة وطريقة أدائها إقامة مكان للصلاة، خاصة بعد تزايد أعداد المسلمين بعد هجرة الرسول (ص) إلى المدينة المنورة.

كان الهدف الأول من بناء المسجد اجتماع المسلمين عند الصلوات الخمس، صفوفًا مترابطة خلف إمامهم وليكون بعد الصلاة قاعة للتداول في الأمور العامة وللتفقه في أمور الدين. ولما كانت الصلاة في الإسلام بسيطة فقد كان بناء الجامع بعيدًا عن التعقيد والزخرف.

أول مسجد في الإسلام هو مسجد قباء، وهي ضاحية تقع جنوب شرق المدينة المنورة، نزل فيها الرسول (ص) بعد هجرته من مكة وأقام فيها مسجدًا. ولكن الرسول بدأ ببناء مسجد آخر بعد استقراره في المدينة واهتم باختيار الموقع والمساحة ووضع المخطط العام وساهم كذلك في أعمال البناء. كانت القبلة متجهة في البدء إلى الشمال، نحو بيت المقدس. وكان المسجد مربع الشكل يتألف من فسحة (صحن) وقاعة للصلاة (الحرم) في الشمال وصفة (ما يشبه الرواق) في الجهة المقابلة وكان له ثلاثة أبواب (في الشرق والغرب والجنوب) وفي الجهة الشرقية يفتح بيت الرسول على المسجد. جدران المسجد كانت مبنية من اللبن واستخدمت جذوع النخيل كأعمدة لحمل سقف القاعة المكون من سعف النخيل. وكانت أرض المسجد من التراب في البدء ثم فرشت بالحصباء.

بدل اتجاه القبلة في شهر رجب من العام الثاني للهجرة من القدس إلى مكة المكرمة وأحدثت تعديلات على المسجد ليتلاءم مع توجيه القبلة نحو الكعبة، فجعلت قاعة الصلاة في الجهة الجنوبية وأصبح بيت الرسول الملاصق للجدار الشرقي مكونًا من تسع حجرات وتم سد الباب الجنوبي لكونه أصبح ضمن جدار القبلة ليفتح بدلًا منه باب في الجدار الشمالي.

المسجد النبوي الشريف هو أول مسجد جامع يبنى في الإسلام والثاني من حيث المرتبة بعد المسجد الحرام، لا سيما وأن الرسول (ص) دفن فيه. وقد تم توسيعه في عهد الخليفة عمر وجدد في عهد عثمان فبني بالحجر وسقف بخشب الساج.



(Creswell, 1940)

المدينة المنورة: مسجد الرسول (ص)، تطور المسقط

جدد المسجد النبوي في العهد الأموي في خلافة الوليد بن عبد الملك، الذي وسعه وزينه بالرخام والفسيفساء. وأدخلت حجرة السيدة عائشة التي تضم قبر الرسول (ص) في الجانب الشرقي من قاعة الصلاة الموجودة جنوب الفناء، الذي أصبح محاطاً من جهاته الثلاث بالأروقة. كما زود المبنى لأول مرة بالمآذن، التي كانت على شكل أبراج مربعة وأنشئ محراب في جدار القبلة. وقد استمر الاهتمام بهذا المسجد وتجديده عبر العصور.

أثر هذا المسجد بمخططه البسيط منذ البدايات على مخططات المساجد التي شيدت بعده. وبناء هذا المسجد يؤكد بأن المسلمين لم يقتبسوا تصميمه من المعابد الرومانية أو من الكنائس البيزنطية وإنما وضعوا نموذجاً جديداً من المباني يتلاءم مع احتياجاتهم. اتبع هذا المخطط في المساجد المبكرة التي تم إنشاؤها بعيد الفتوحات الإسلامية في الكوفة والبصرة وكذلك مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط (القاهرة) ومعظمها زالت آثارها.